السهروردي المظلوم

السهروردي اسم نسب اشتهر به عدد من الاعلام مما أدى للخلط بينهم، كما كانت دلالة هذه النسبة كذلك مدعاة للخلط بين من هو منسوب لمدينة سهرورد و هي مدينة تقع في شمال غربي إيران قريبًا من زنجان برز منها عدد كبير من العلماء اشتهروا جميعًا بنسبتهم اليها، و بين من هو منسوب للطريقة الصوفية المشهورة التي أسسها شهاب الدين عمر بن محمد البكري السهروردي وهو أحد أكبر علماء التصوف السني،
و ممن كان منسوبًا لهذا الاسم للسببين كون جذوره من هذه المدينة و كونه منتسبا للطريقة يبرز لنا اسم احد اكبر خطاطي الدولة العباسية أعني

احمد بن السهروردي البكري

هو احمد بن يحي بن محمد بن عمر بن محمد البكري شمس الدين السهروردي و الذي يعرف بابن الشيخ كون جده السالف الذكر مؤسس الطريقة السهروردية. ولد في بغداد سنة ٦٥٤ هـ و تفقه على المذهب الشافعي و سمع الحديث و اجيز من جماعة و برع في اللغة و الادب و حفظ مقامات الحريري، و درس الموسيقى على صفي الدين الاورموي ت ٦٩٣هـ ، و كتب على الشيخ زكي الدين عبد الله و فاق عليه، و ارتفع شأنه أيام الإيلخانيين بعد سقوط الدولة العباسية فكان يكتب عليه الملوك فكتب عنه ابو سعيد القان (محمد خدابندا أولجايتو) و الوزير غياث الدين و عدد كبير من ابناء الامراء و الوزراء و القضاة، و توفي رحمه الله سنة٧٤١هـ . و دُفن عند جده ببغداد.
نفهم من السابق ان الرجل كان معاصرًا لياقوت، و لم يكن تلميذه شهدت بذلك كل المراجع العربية، وإذا صحت المعلومة التي أوردها صاحب كتاب خط و خطاطان من أن ياقوت توفي عن عمر ٨٠ عاما فيكون السهروردي أصغر من ياقوت ب ٣٦ سنة، و تنحصر علاقته بياقوت أن استاذ ياقوت في الخط صفي الدين الاورموي ت ٦٩٣هـ هو نفسه أستاذ السهروردي في الموسيقى.

لكن بدأت محنة الرجل حين تم إدراجه ضمن ما يسمى بالأساتذة الستة الذي يشمل عددًا من أسماء الخطاطين الكبار الذين عاصروا ياقوتًا المستعصمي و كان منهم طلاب له (المختلف في أسمائهم و حصرهم) و بعضهم من ليس بطالبه مباشرة كعبد الله الصيرفي.

و يحتمل ان مصطلح الاساتذة الستة نُحت اولاً ليرصد عددا من كبار الخطاطين المتعاصرين و كانت الحظوة لياقوت من حيث عدد طلابه المذكورين ضمن هذا المصطلح فأقول لعل هذا ما أوهم ابتداءً أن السهروردي أحد تلامذة ياقوت و كذلك فارق العمر الكبير بينهما مما قد يُسهل قبول رواية تلمذته على ياقوت، و لا نجد في المصادر العربية القريبة العهد بياقوت من يقول بأن السهروردي كان تلميذًا لياقوت فنجد على سبيل المثال لا الحصر:
مسالك الابصار في ممالك الامصار لمؤلفه شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩ هـ و هو معاصر للسهروردي، وذكر اسم شيخه في الخط أنه زكي الدين بن عبد الله.

أعيان العصر و أعوان النصر للصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ، وقد عاصر السهروردي وصرح باسم أستاذه في الخط أنه الشيخ زكي الدين عبد الله.

مرآة الجنان و عبرة اليقظان لمؤلفه أبي محمد بن اسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني ثم المكي المتوفى ٧٦٨هـ وهو أيضا قد عاصر السهروردي. و لم ينسبه لياقوت و لم يذكر اسم شيخه.

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ حيث لم ينسبه لياقوت ولم يذكر اسم استاذه.

و للأسف فإن المراجع غير العربية هي التي روجت لدعوى تلمذة السهروردي على ياقوت فنجد أن أقدمها:

الرسالة القطبية لقطب الدين اليزدي المتوفى في حدود سنة ١٠٠٠هـ و هو أول من ذكر مصطلح الاساتذة الستة حسبما أفاد حبيب أفندي في كتابه خط و خطاطان.

گلستان هنر ١٠٠٦ لمولفه قاضي أحمد القمي.

تحفة الخطاطين لمستقيم زادة المتوفى سنة ١٢٠٢هـ .

خط و خطاطان لمؤلفه ميرزا حبيب الأصفهاني (حبيب أفندي) المتوفى ١٣١٠ هـ .

أطلس الخط العربي لحبيب الله فضائلي.

و هي كما نرى مصادر بعيدة زمنيًا عن زمن السهروردي.
و تبعها في ذلك المصادر الحديثة العربية

و التركية: كتاب فن الخط اوغور درمان

و الانكليزية: روائع فن الخط و التذهيب القراني لمارتن لنگز،
قرآن المماليك لديڤيد جيمس.

و بالتالي اعتمدت هذه القصة في التعريف باعماله المحفوظة في المتاحف والمكتبات العالمية

و زاد الطين بلة ان صار ينسب للرجل مصاحف لم يكتبها سواء موقعة او غير موقعة باجتهادات مؤلفين غربيين لا علاقة لهم بفن الخط و لا يستطيعون التمييز بين اسلوبي خطاطين مختلفين غير ما زور عليه.

و نورد لكم النصوص التي تؤيد ما ذهبت اليه من ان السهروردي لم يكن يومًا تلميذًا لياقوت

يقول صاحب كتاب مسالك الابصار عن السهروردي:
كتب مثل ياقوت الدر و زاد عليه ففضل الرقيقَ الحرُّ و باهى الروض و روى على لسان السهروردي نفسه مقارنًا نفسه بياقوت فقال: بيدي ما بيدي و لاخي النرجس
و يقول: سهروردي و كيف يقاس بي و قد تطاولت و لم يبلغ الشجر .....
فواضح من كلامه انه سماه اخي و لم يسمه بلفظ يدل على استاذية ياقوت بل يبدو من كلام السهروردي اقتناعه بتفوقه على ياقوت و هو ما تعضده قولة اخرى نقلها نفس المصدر: و قيل: أنه كتب قلم النسخ أحسن من ياقوت.

و نقل كذلك قصة عن تاج الدين بن البشاك يعترف فيها ياقوت بافضلية السهروردي عليه في خط النسخ فقال:
قال العلامة تاج الدين بن البشاك كنت أكتب على ياقوت و أجود قلم النسخ، فكان يُغيِّر علي و يوقفني على الأصول، و كنت أستزيده فيوقفني حتى بلغت طبقة لم يُغيِّر علي فيها شيئًا، فاستزدته فلم يزدني و ألححت عليه فقال: ما علي مزيد أتظن أنك تبلغ طبقة شمس الدين السهروردي فإن نسخه أفضل من نسخي.

و يقول صاحب كتاب مرآة الجنان بعد أن عرف به و بنسبه و تحدث عنه حتى قال: و صار شيخ الكتاب، و رئيس أهل الآداب. فلعل هذا بعد وفاة ياقوت حيث عاش بعده قرابة ٤٣ سنة. وهو ما صرح به صاحب كتاب مسالك الأبصار فقال و فاق الناس في الخط بعد ياقوت المستعصمي.
و رغم ما أوردته المصادر غير العربية من أنه تلميذ ياقوت إلا أن صاحب كتاب خط و خطاطان بعد أن أورد كلام اليزدي و مستقيم زادة أن السهروردي كان تلميذًا لياقوت فقال التالي:
و على الرغم من أن أحمد السهروردي لم يكن تلميذًا مثل الآخرين، فقد كان ندًا لياقوت في زمانه.
ثم أورد قصة غير منطقية أن السهروردي كان يستخدم القط المستوي فعلمه ياقوت قط القلم المحرف و هو ما يتناقض مع فكرة أن ياقوت لم يكن أول من حرف القلم بل كان أمرًا معروفًا قبله و كذلك يتناقض مع ما ذكرته المصادر العربية من كلام للسهروردي يوحي بعدم قبوله توجيهًا كهذا من ياقوت.

و رغم أنه عاش بعد ياقوت قرابة ٤٣ سنة إلا أن ذكر ياقوت و كثرة طلابه كان أعم و أوسع و إليه نسبت النقلة الكبيرة في فن الخط رغم ما نراه في إنتاج الرجل أنه لا يقل عن ياقوت فيما يتوفر بين أيدينا مما تحسن مقارنته، بل رأى البعض تفضيله على ياقوت، يقول الصفدي لا يطلق اسم الكاتب إلا عليه إجماعًا و نصًا، ولا يرضى أن يكون ياقوت في خاتمه فصًا، فقد زعم كثيرٌ أنه كتب خير من ياقوت، و لو كان في زمانه لعَذُرَ عليه القوت.
وكذا كون اتصال المدرسة العثمانية بياقوت و ميل المدرسة المملوكية في مصر و الشام إلى طريقة ابن البواب ثم انتقالها إلى المدرسة العثمانية لاحقًا المتصلة بياقوت، وأخيرًا يبدو أن طلاب السهروردي لم ينشروا طريقة أستاذهم و يقوموا بها.
كذلك قلة الأعمال التي وصلتنا منه قياسًا على ياقوت و طلابه رغم غزارة أعماله ٣٣ مصحفًا - في المصادر الأعجمية، وقيل ٧٨ مصحفًا (في المصادر العربية المبكرة) منها خمس ربعات، وكتب إحياء علوم الدين للغزالي و كتاب المصابيح للبغوي ثلاث نسخ، وعوارف المعارف لجد أبيه ثلاث نسخ، و كتاب الشفا لابن سينا، و المقامات ثلاث نسخ، و مفصل الزمخشري نسختين، ونهج البلاغة أربع نسخ، و كثير من الأحاديث و الأدعية و الدواوين و الدروج.
وللأسف لم يصل إلينا معظم هذه الأعمال و لم يتبق إلا:
جزء واحد من مصحف بخط النسخ محفوظ بمتحف الفنون الإسلامية التركية ٧١٨ هـ .

بضعة كتابات جمعت له مع ياقوت و بعض تلاميذه و الصقت على شكل صفحات لتشكل كتابًا من ١٠١ صفحة جُمع لبايسنقر ميرزا تحت اسم مجموع الخطوط و تم تذهيبه في مرحلة لاحقة و أخيرًا حُفظ في مكتبة طوب قاپي سراي و تظهر براعته في خطي التواقيع و الرقاع.

مصحفه الرائع بالخط المحقق كتبه كربعة للسلطان غازان محمود إيلخان ت ٧٠٣ هـ و التي فُقد كثير من أجزائها و تفرقت البقية على أربع جهات مختلفة:
ثلاثة أجزاء منها بسراي طوب قاپي بتركيا: الجزء الثاني، الرابع، و الثالث عشر.
و جزآن بمتحف ايران باستان بطهران الجزء الثامن و العشرون،
و جزآن مكتبة تشستربيتي الجزء العاشر، و الجزء الخامس و العشرون،
وثلاث أجزاء متحف المتروپوليتان الجزء السادس و الجزء العشرون، وأوراق من الجزءالثلاثين.

و بالنظر إلى تاريخ الفراغ من الجزء الثاني سنة ٧٠٢ هـ و تاريخ الجزء الثامن و العشرين سنة ٧٠٧ نجد أنه ربما أنهى هذا المصحف الجليل في ست أو سبع سنوات، ويعد أحد أروع نماذج خط المحقق في التاريخ.

مصحف آخر منحول عليه و موقع باسمه بخطي الثلث مع النسخ في مكتبة تشستربيتّي مؤرخ بـ ٧٠١ هـ تكفي نظرة واحدة أإلى صحيفة ختامه لتنفي نسبة المصحف إليه، و بالمقارنة مع ثلثه الوارد في عناوين مصحف متحف الفنون الاسلامية التركية و مع النسخ الوارد فيه ما يؤكد بعدم نسبة المصحف إليه، كذلك فنقطه مستديره وهو ما يخالف عادة السهروردي في تربيع النقاط، كما لا يخفى اختلاف اسلوب التشكيل و يكفينا النظر إلى الميزان في كلا السطرين أدناه، كما يلاحظ أن توقيعه تم تشكيله بطريقة خاطئة حيث وردت كلمة السهروردي مفتوحة الراء في حين نراه دائما يضبطها بالضمة.

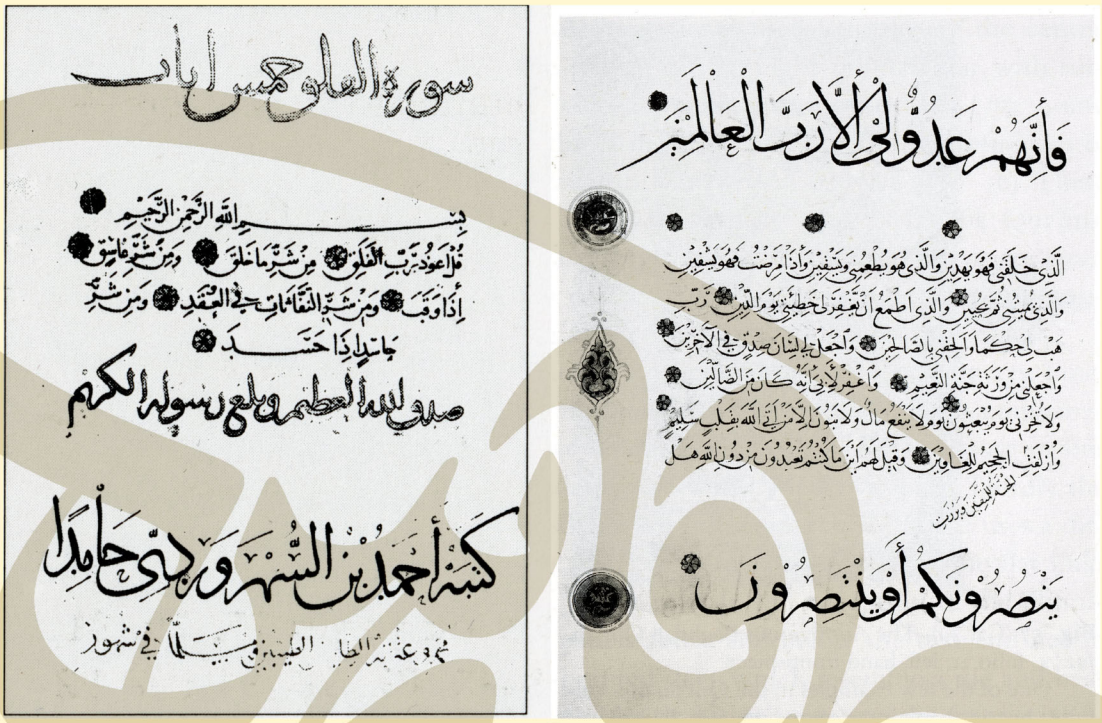

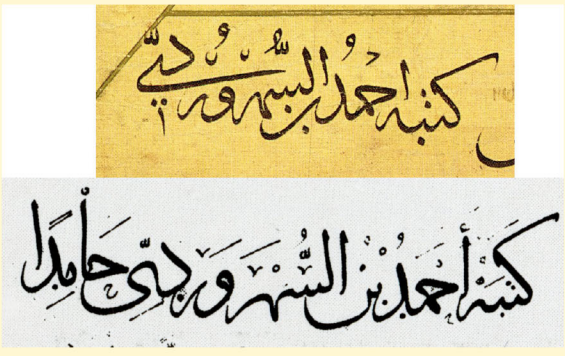

و أخيرًا يُنسب له مصحف غير موقع بخط المؤنق يبدأ كل جزء بصفحة إفتتاحية مكتوبة بالذهب و مزخرفة فيم تأتي الصفحات التالية بأسطر متتابعة أحدها ذهبي مسور بالأسود و يليه بالعكس سطر أسود محدد بالذهب

خطه أضعف بكثير من المصحف السابق مما لا يدع مجالًا للشك أنه ليس بخطه و قد رجح كل من ديڤيد جيمس و مارتن لنگز نسبة هذا المصحف له و تابعتهما على ذلك بعض المراجع العربية حيث استغلوا جملة كُتبت في نهاية صفحة كالتالي: كتبه فقير إلى الله طامع في كرم الله بمدينة السلام بغداد سنة ست و سبعمئة حامدًا لله و مصليًا على رسول الله صلى الله عليه و سلم. ففسروها بشكل غير منطقي أن الخطاط أخفى نفسه عن عمد زهادةً و من باب إنكار النفس ثم بدون أي رابط رأوا انه من المحتمل أن يكون السهروردي! فما باله وقع المصاحف الأخرى؟!

و المصحف مكتوب في نفس السنوات التي كُتب فيها المصحف السابق و بمقارنة بسيطة بين خطيهما و هيئة حركات الإعراب نستطيع أن نجزم باستحالة نسبة المصحف للسهروردي.

و لطيفة أخرى أن السهروردي كان يكتب كلمة سبعمائة بالآلف في حين نراها هنا كتبه بدون ألف.